النفوذ الروسي داخل الكنيسة الارثوذكسية في القدس (1847-1917)

م.م.نيزك سعيد عبد الكريم
مديرية الرصافة الاولى / ث الاعظمية المسائية للبنات
nyzksyd@gmail.com
07707748820

مستخلص البحث:

شهدت المدة (1847- 1917) تصاعداً كبيراً في النفوذ الروسي داخل الكنيسة الارثوذكسية في القدس ، أذ تحولت القضية من مجرد رعاية دينية إلى أداة سياسية واستراتيجية ضمن ما عُرف بـ "المسألة الشرقية". وبدأ التحرك الروسي الفعلي بإرسال البعثة الكنسية الروسية الأولى إلى القدس عام 1847 ، برئاسة الأرشمندريت بورفيري أوسبنسكي. اذ كان الهدف المعلن من البعثة هو دعم الأرثوذكسية ، لكن الهدف الضمني كان كسر الاحتكار الثقافي والديني لكل من فرنسا (الكاثوليك) وبريطانيا (البروتستانت) في الأراضي المقدسة. وقد واجه النفوذ الروسي عقبة داخلية تمثلت في البطريركية الأرثوذكسية بالقدس التي كانت تحت سيطرة القيادات اليونانية ، الامر الذي دفعها الى دعم المطالب العربية داخل الكنيسة الأرثوذكسية ضد الهيمنة اليونانية . وهنا تكمن اهمية البحث من خلال الدور الذي لعبه النفوذ الروسي في الصراع بين العرب الارثوذكس والبطريركية اليونانية . وقد استخدمت روسيا الدعم المالي للضغط على البطريركية لضمان تعيين قيادات تتماشى مع سياساتها. وأصبحت القدس وجهة سنوية لآلاف الحجاج والفلاحين والنبلاء الروس ، مما حول أجزاء من القدس إلى أحياء ذات طابع روسي خالص. كانت روسيا تطمح من خلال هذا النفوذ تثبيت حقها كـ حامية للمسيحيين الأرثوذكس في الدولة العثمانية وإيجاد موطئ قدم دائم لها قرب الطرق الاستراتيجية في الشرق الأوسط. ومواجهة النفوذ الغربي (البروتستانتي والكاثوليكي) المتزايد في فلسطين. انتهى هذا النفوذ القوي بأندلاع الثورة البلشفية عام 1917 أذ انقطعت التمويلات الروسية، وصودرت الكثير من الممتلكات، وتراجع الدور الكنسي لصالح القوى الاستعمارية الجديدة (بريطانيا) التي دخلت القدس في العام نفسه.

الكلمات المفتاحية : الدعم الروسي – العرب الارثوذكس – العداء اليوناني.

المقدمة

خلال المدة ما بين(1847-1917) ، شهدت مدينة القدس تطورات سياسية وثقافية كبيرة ، كان للنفوذ الروسي دور بارز فيها. أذ تزامنت هذة المرحلة مع تراجع القوة العثمانية وزيادة التنافس بين القوى الأوروبية على النفوذ في الشرق الأوسط . وسعت روسيا التي كانت تمثل القوة الأرثوذكسية الكبرى في ذلك الوقت ، إلى تعزيز وجودها في فلسطين من خلال تقديم نفسها كحامية للمسيحيين الأرثوذكس . واتسمت السياسة الروسية في القدس بتركيزها على الجوانب الدينية والثقافية ، حيث قامت بإنشاء المدارس والكنائس والمراكز الثقافية . كما عملت على جذب المهاجرين الروس ، مما ساهم في بناء مجتمع روسي صغير يضيف طابعًا جديدًا على الحياة المحلية .

لم يكن النفوذ الروسي في القدس مجرد تأثير ديني فحسب ، بل امتد ليشمل جوانب سياسية واقتصادية ، فقد أدت المنافسة مع القوى الغربية ، مثل بريطانيا وفرنسا ، إلى تحولات في العلاقات الدولية ، حيث اقتربت روسيا من القضايا الوطنية والقومية للذين يعيشون في المنطقة . كان هذا الاقتراب متجذرًا في الأهداف الاستراتيجية التي سعت لتحقيقها مثل تعزيز دورها الإقليمي وزيادة تأثيرها على القضايا المتعلقة بفلسطين . وتم تحديد الاطار الزمني للبحث بعام 1847 العام الذي شهد ارسال اول بعثة تبشيرية روسية الى القدس ، الى عام 1917 وهو العام الذي حدثت فيه الثورة البلشفية في روسيا والذي ادى الى ضعف النفوذ الروسي في القدس بشكل كبير وثم ايقافه .

شمل البحث التمهيد وثلاث مباحث وخاتمة ، تضمن التمهيد جذور التغلغل الروسي في القدس حتى عام 1847 ، وتناول المبحث الاول المحاولات الروسية لزيادة نفوذها فيه القدس حتى عام 1882 أذ شمل أولاً : البعثات التبشيرية الروسية واثرها في زيادة النفوذ الروسي في القدس حتى حرب القرم عام 1854 ، ثانياً : النفوذ الروسي في القدس بعد حرب القرم (1856- 1882) ، أما المبحث الثاني تضمن التغلغل الروسي في القدس من خلال الجمعية الامبراطورية المقدسة التي تأسست عام 1882 ، وتناول المبحث الثالث موقف البطريركية اليونانية في القدس من التغلغل الروسي في داخل الكنيسة .اما الخاتمة جاءت بمجموعة من الاستنتاجات التي توصل لها البحث .

التمهيد

جذور النفوذ الروسي في القدس حتى عام 1847

أن دور الحماية الذي لعبته الدول الغربية اتجاه مسيحي العالم وبالخصوص مسحيي الدولة العثمانية ، يعد سبباً من عدة أسباب أتخذتها تلك الدول لبسط سيطرتها على مناطق الدولة العثمانية ، وقد اثبت ذلك السبب فاعليته الخاصة في فلسطين التي كانت خاضعة للسيطرة العثمانية منذ عهد السلطان سليم الاول عام 1517 [(i)] . وكانت روسيا من بين تلك الدول التي أتخذت الدين غطاءاً للتوسع في شرق البحر المتوسط بحجة حماية المسيحيين الارثوذكس ، وعدت ذلك الامر الأهم في سياستها الخارجية ، واولت اهتماماً خاصاً بالارثوذكس في فلسطين ، إذ كان معظم الساسة الروس قد جعلوا من الدين خادماً مسخراً لسياستهم ، بحجة من قلقهم على مسيحي الدولة العثمانية وأخذوا يبثون شعور أنهم يحملون مسوولية تحرير القسطنطينية من الدولة العثمانية ، كخطوة أولية من أجل تحرير المسيحيين[(ii)].وفي عهد الإمبراطور الإسكندر الأول بدأت روسيا تسعى الى خلق نفوذ لها في فلسطين ، من خلال إقامة الاديرة والمستشفيات للحجاج والزوار الروس إلى مدينة القدس ، سعياً منها لترسيخ نفوذها في المنطقة ، لذا عمل الاسكندر الاول على تكليف القنصل الروسي في بيروت ومستشاريه بأن يجوبوا بلاد الشام وامرهم بدراسة المنطقة ومعرفة أحوالها ورفع تقريرا له بهذا الشأن[(iii)] .

بالرغم من ذلك، أن روسيا لم تؤسس وجوداً سياسياً لها في فلسطين الا بعد تزايد نشاطات الدول الاوربية في الدولة العثمانية ، فقد عبر القيصر الروسي نيقولا الاول عام1833 عن رأيه فيمايخص بسط النفوذ الروسي في فلسطين بمذكرة طلب منه أن تستولي روسيا على الاراضي المقدسة ، قائلاً : **"لقد حزرتم الرغبة التي هي مني في الصميم ، بيد أني أعرف أن تحقيقها صعب ، وأنه سيصدم بعقبات مهمة"** لذا كانت الرغبة غير قابلة للتحقيق من وجهة نظر القيصر الروسي ، بل أن السياسة

الروسية كانت حريصة حتى الحرب العالمية الاولى على تفادي كل ما من شأنه أن يدفع الدول الغربية الى القيام بأجراءات مضادة في فلسطين كفرض الحماية المشتركة للدول الكبرى على فلسطين ، لاسيما بعد نهاية الحكم المصري لفلسطين عام 1841[iv] .

سعت روسيا بأعتبارها القوة المسيحية الثالثة في العالم الى أقامة وجود لها في فلسطين بشكل واضح في أربعينيات القرن التاسع عشر ، إذ كان الحجاج الروس يتدفقون الى القدس فسعت الى توفير الرعاية للحجاج الروس بهدف زيادة النفوذ الروسي في الامبراطورية العثمانية من خلال تعزيز الارثوذكس في فلسطين ، ومن أجل محاربة النفوذ الكاثوليكي تحت حماية الكنيسة الارثوذكسية وانشطة التبشير البروتستانتي في هذه المنطقة[v].

ادى النشاط التبشيري القوي للدول الاوربية وافتتاح المطرانية الانجيلية عام 1841 الى توجيه انظار الروس الى تقوية مكانتهم في القدس ، إذ كان هولاء يزورون القدس كحجاج بأعداد كبيرة ، كما ان وزارة الخارجية الروسية ودوائر القصر الامبراطوري ، كانت تعد المصالح الامبراطورية الروسية والتوجهات الكنسية في بطريركية موسكو من الامور المهمة التي تحسب لها الحساب ، ففي السنة المذكورة ، بدأت الخطوات الاولى لتأسيس وجود روسي في القدس عندما طالب الكونت نيقولاي بروتاسوف أمين المجمع الروسي المقدس بأرسال اشمندريت مع راهبين او ثلاثة الى القدس لتأسيس مدرسة في دير الصليب الارثوذكسي لتعليم اللغات اليونانية والروسية وللاشراف على توزيع العطايا والنذور الروسية وتقديم الرعاية للحجاج الروس القادمين الى القدس ، وقد قدم الطلب مباشرة الى القيصر الروسي الذي حوله بدوره الى وزير الخارجية في موسكو الكونت نستلروده والذي أجابه بالقبول على ذلك الطلب والمقترحات التي ارفقت به ، لذا حصلت موافقة القيصر الروسي في الثالث من تموز عام 1842 وتم تعيين الأشمندريت بروفيري اوسبنيكي لشغل هذا المنصب ، وفي ايلول 1843 قام بزيارة القسطنطينية وبلاد الشام ومن ضمنها القدس ، وأجرى مقابلات مع العرب الارثوذكس والرهبان اليونانيون [vi].

المبحث الاول

المحاولات الروسية لترسيخ نفوذها في القدس خلال المدة (1847-1882)

اولاً /البعثات الروسية وأثرها في النفوذ الروسي في القدس حتى حرب القرم عام1853

أخذت روسيا تتدخل في فلسطين بحجة حماية الطائفة الارثوذكسية بعد أن زادت تدخلات القناصل الاوروبيين والاسقف البروتستانتي والبطريرك اللاتيني ، حيث بدات الارسالية التبشيرية البروتستانتية والكاثوليكية الواقعة تحت حماية الدول الاوربية الغربية تضيق الخناق على العرب الارثوذكس في القدس وسعت بكل الطرق والوسائل الى تحويلهم عن طائفتهم ، لذا ارسلت روسيا في عامي (1843 –1844) الأرشمندريت برفيري أوسبنكي إلى فلسطين الذي اجرى عدة مقابلات مع العرب الارثوذكس وألتقى بالرهبان اليونانيين داخل الكنيسة الارثوذكسية في القدس، فقدم شرحاً مفصلاً عن حالة الكنيسة الأرثوذكسية ورعاياها الى الحكومة الروسية ، وأكّد على ضرورة تقديم الدعم والاسناد للعرب الارثوذكس في كل مناطق فلسطين وليس في القدس فحسب، مبيناً الحاجة إلى تأسيس إرسالية روسية كبيرة في بلاد الشام، [vii].

ونتيجه لتلك الزيارة فقد تمّ تكليفه بأن يكون أول رئيساً للبعثات الروسية الى فلسطين وبلاد الشام ، كما حصلت روسيا على مساحة من الاراضي التاريخية بالقرب من كنيسة القيامة ، وحصلت على منطقة واسعة من الارض خارج مدينة القدس شمال غرب بوابة يافا المنطقة المعروفة باسم (ميدان) ، وكذلك حصلت على مستشفى للحجاج الروس الكاثريدائية لتكون مقراً لاقامة القنصل الروسي وكنيسة صغيرة اخرى وخمسة عشر اماكن اقامة ، ويرجح انه حصل على تلك الاماكن من العرب الارثوذكس الذين وجدوا بالبعثة الروسية وسيلة لحمايتهم من طغيان البطريركية اليونانية ، ومن أجل استعادة حقهم في إدارة البطريركية بمساعدة روسيا [viii].

وفي تلك المدة كانت الخلافات بين الكنائس الأرثوذكسية من جهة ، واللاتين من جهة أخرى ، قائمة الى درجة قيام حامية كل منهما بشن الصراعات اتجاه الطائفة الاخرى على ابسط الامور. ففي يوم الثاني عشر من تشرين الأول عام ١٨٤٧ زار كنيسة المهد في مدينة بيت لحم ، طبيب المستشفى الأرثوذكسي في القدس وكان يونانياً ومعه زائران آخران من اليونانيين وأثناء الزيارة هاجم عليهم الرهبان الفرنسيان فحدثت أشتباكات بينهما ، ممأدى الى اختفاء النجم الفضي الذي كان معلقاً داخل كنيسة المهد. ومع أن المزار كان للأرثوذكس، فإن النجم الفضي كان اللاتين ، إذ كانت الكنيسة تحت سلطتهم فأمرت الحكومة العثمانية في استانبول أن يبقى ملكاً لهم لان كل مناطق فلسطين كانت أنذاك تابعة للسيطرة العثمانية ، وعند اختفائه اتهم الارثوذكس اللاتينيين بسرقته ، في حين اتهم اللاتينيين الارثوذكس بأنهم هم الذين أزالوه ليضعوا مكانه نجماً جديداً [ix].

وصلت أنباء الصراع الى الحكومة العثمانية في استانبول التي سارعت الى أصدار أمراً بوضع النجم الفضي كما كان في السابق ، وتشكيل لجنة من أجل النظر في الحقوق والامتيازات المالية لكلا الطائفتين . وبعد سلسلة من الاجراءات التي قامت بها اللجنة أصدرت تقريرها الذي لم ينل رضى السفير الفرنسي في استانبول ، فقدم احتجاجه على ذلك التقرير، الا أن المبعوث الروسي للدولة العثمانية طالب بثلاثة امور قدمها الى الحكومة العثمانية : الأول أن يؤيد السلطان العثماني هذا الحق الشرعي بامتلاك الارثوذكس للنجم الفضي بفرمان سلطاني ، والثاني أن يصدر أمراً الى البطريرك اليوناني الأرثوذكسي بتجديد بناء قبة كنيسة القيامة ، والامر الثالث أن يعطي لروسيا حق حماية المسيحيين في الدولة العثمانية والاشتراك في رعايتهم والسماح لهم بإدارة المزارات المقدسة في القدس . فقبلت الدولة العثمانية الطلبين الأول والثاني، ورفضت الثالث لأنه يمس كرامتها واستقلالها[x]. أدى وجود بطريرك اورشليم الروسي في القدس ووجود البعثة الروسية الاسيوية الى تطور الاحداث ومن ثم حصلت ازمة دولية حول الحق ومفاتيح الاضرحة المقدسة في القدس وبيت لحم ، مما دفع ذلك روسيا الى أن تعلن الحرب على الدولة العثمانية وأرسلت جيوشها للقتال في مقاطعات نهر الدانوب في تشرين الأول ١٨٥3، فاضطرت الممثلية الروسية التي يرأسها اوسبنكي الى مغادرة القدس في ذلك العام وأغلاق الكنيسة الروسية في القدس[xi].

أنتهت الحرب في عام 1856 ولم تكن نتائجها مرضية للحكومة الروسية ، فقد أكدت الهزيمة عام ١٨٥٦ التغير الأساسي الذي حصل للعلاقات الروسية مع الشرق الأرثوذكسي، واصبح من الصعوبة أن تكون لها مكانة ومركزاً في الشرق الاوسط ، لاسيما ان الدول الكبرى بريطانيا وفرنسا كانتا قد

ساندت الدولة العثمانية في الحرب ضد روسيا ، لذااضطرت روسيا إلى قبول المساومة مع الدول التي كانت تنافسها في ذلك المجال الديني ، وأجبرت على التوقيع على معاهدة باريس عام 1856 [xii].

ثانياً / النفوذ الروسي في القدس بعد حرب القرم (1856-1882)

بعد حرب القرم التي انتهت عام 1856، تمكنت روسيا من أرسال ممثلية جديدة الى القدس في بدايات عام 1858 برئاسة المطران سيريل الذي تلقى تعليمات من وزارة الخارجية الروسية ، تقضي بأن يمنح الاهتمام الخاص الى الارثوذكس العرب والعمل على كسب ودهم وتأييدهم في صراعهم ضد اليونانيين، بحيث تؤدي تلك المساعدة الى منع اللاتيني اليوناني من استقطاب الارثوذكس العرب الى الكثلكة ، لذا سعت روسيا الى بذل كل الجهود من أجل حماية الارثوذكسية وتثبيت نفوذها في القدس [xiii].في عام 1858 ظهرت أول قنصلية روسية في القدس بعد أن أخذت الدول الاوروبية في هذه المدة ببناء قنصليات لها في فلسطين، ولترسيخ نفوذ القنصلية الروسية في القدس تم شراء اولى قطع الاراضي في ذلك العام [xiv]، وأسست شركة ملاحة بخارية روسية التي كانت تهدف الى نقل الحجاج الروس الى الاراضي المقدسة ، إذ كانوا يشكلون العدد الاكبر من حجاج العالم ، وفي العام نفسه وصل الى مدينة القدس اسقف روسي وقنصل روسي ووكيل شركة ملاحة ، وتم نقل مقر اقامة البطريرك الارثوذكسي من اسطنبول الى القدس، وهذا الامر يدل بوضوح على الدور الروسي المتنامي في المدينة ومحاولة ايجاد موطئ قدم لهم حيث كانت العلاقة بينهم وبين اليونانيين علاقة تنافس ولم يكن بين الطرفين تعاون أو عمل مشترك[xv].

ادرك الروس تماماً بأن اليونانيين لم تكن لديهم القدرة ولا الرغبة في حماية الارثوذكس العرب من الاخطار التي كانت تهدد وجودهم فلذلك اوجد الروس لانفسهم اتباع من الارثوذكس المحليين في القدس دون التنسيق او معرفة البطريرك اليوناني الذي يمثل الزعامة الدينية للطائفة اليونانية ، فقد وبدأ الروس يعززون من وجودهم في القدس ، ففي عام 1859 بدأ الروس بجمع الاموال وتحويلها الى لجنة فلسطين التي تمكنت من جمع مليون روبية روسية بين عامي (1859 -1864) ، واستخدمت هذه الاموال لشراء الاراضي التي كان الغرندوق قسطنطين الابن الثاني للقيصر الروسي نيقولا الاول والتي تفاوض عليها اثناء زيارته للقدس حيث تم شراء ارض الميدان في شمال المدينة والتي كانت تستخدم كميدان تدريب للجيش العثماني وكانت تستخدم ايضا مكاناً لتنزه أهالي المدينة[xvi].اشترى الروس ايضاً أربعة قطع أراضي بجانب سور المدينة وقطعة صغيرة داخل اسوار المدينة وقطعة أرض كبيرة على جبل الزيتون وقاموا ببناء مجمع المسكوبية الذي لم يكن له مثيل في المدينة حيث احتوى البناء على كنيستين الاولى كبيرة تسمى بكنيسة الثالوث الاقدس يعلوها سبع قباب مصفحة بالرصاص والاخرى صغيرة تسمى بكنيسة الملكة الشهيدة الكسندرا وتقع في جنوب الكنيسة الاولى وفيها مستشفى ومنازل متعددة معدة للكهنة والزوار الروس تستوعب 1500 زائرا وفيها منزلاً يقع في جنوبها أصبح مقراً للقنصل الروسي في المدينة[xvii].

وفي المدة بين عامي (1865 – 1894) ترأس البعثة الروسية الى القدس خلفاً لشمندريت انطونيوس كابوستين وخلال هذه المدة التي امتدت قيادته الى ما يقارب 30 عاما امتلكت البعثه

عقارات شاسعة في فلسطين وشيدت عليها كنائس واديرة ونزلاً للحجاج ومستشفيات ومدارس ومباني أخرى[xviii].

المبحث الثاني

النفوذ الروسي في القدس من خلال الجمعية الامبراطورية المقدسة

بعد مؤتمر برلين عام 1878 اتضح لروسيا أنه في حال رغبت في زيادة نفوذها الثقافي في الشرق الاوسط فمن الضروري انشاء منظمة جديدة لهذا الغرض وكان الحل هو انشاء الجمعية الارثوذكسية الفلسطينية ، وكان المسؤول عن انشائها كل من فاسيلي كليتروفو ، مسؤول في الحكومة الروسية ، والدوق الاكبر سيرجي الذي قام عام 1881 برحلة الى القدس برفقة شقيقه بولس وابن عمه كومانتين ، وبناء على ملاحظات عن الوضع في فلسطين تقرر انشاء هذه الجمعية[xix] في عام 1882 ، التي كانت مهمتها تقوم على ثلاثة امور مساعدة الحجاج وتشجيع النشاطات العلمية ورفع شأن الكنيسة الارثوذكسية وكانت الجمعية برعاية الدوق الاكبر سيرجيوس شقيق القيصر الاسكندر الثالث[xx]. تم تحديد محاور الجمعية في دستورها والتي تضمنت ما ياتي : أن الجمعية تكون الى جانب الارثوذكسية ، وأنها تأسست لاغراض علمية وخيرية لتحقيق ما تسعى له من الحصول على معلومات عن الاماكن المقدسة في الشرق الاوسط توضيحها الى اصحاب الشأن في روسيا لتقديم المسافة الى الحجاج الارثوذكس الى هذة الاماكن وانشاء المدارس والمستشفيات والمساكن وتقديم المساعدات المادية للعرب الارثوذكس والاجراء ورجال الدين[xxi].

بدأت الجمعية تمارس أعمال خيرية أتجاه الشعب العربي في فلسطين واكدت أن أهدافها خيرية بالمقام الاول ، ثم أخذت بعد حين تمارس أعمال علمية وثقافية ، إذ شرعت بجمع المعلومات عن الأماكن المقدسة في فلسطين وفي الشرق الاوسط كله ونشرها في روسيا. بالإضافة إلى ذلكأنها عملت على تشجيع ومساعدة الحجاج الورس الأرثوذكس في الوصول إلى الأماكن المقدسة في جميع مناطق الشرق ، مع تقوية ودعم الطائفة الأرثوذكسية بين السكان المحليين في فلسطين ، وتنفيذ الدراسات والأبحاث العلمية حول تاريخ وآثار فلسطين ، وسعت الى تأسيس المدارس، وبناء المستشفيات وبيوت الحجاج، فضلاً عن تقديم المساعدات المادية إلى السكان المحليين، والكنائس، والأديرة، ورجال الدين[xxii].أدت هذة الاعمال التي قامت بها الجمعية الى زيادة أعداد الحجاج الروس الى القدس ومعظم مناطق فلسطين ، مما دفعها الى القيام بزيادة فرص السفر من بطرسبروغ الى القدس ذهاباً واياباً من خلال جعل مبلغ مالي زهيد للمسافر، كما عملت على إنشاء فنادق وخانات لاستقبال الحجاج الروس، وكثفت الدعاية للحج من خلال الوعظ في الكنائس، وعن طريق المجلات والمنشورات ،الامر الذي ادى الى زيادة أعداد الحجاج الروس ، إذ وصل عددهم بين العامين (1888 -1889) حوالي 3000 حاج، ليصل في العام 1900 إلى 6000 حاجاً[xxiii]،وأخذ هذا العدد يزداد حتى وصل عدد الحجاج الروس الذين يوفدون الى القدس في عام 1904 الى 8000 حاج من مختلف المناطق الروسية[xxiv] ، وفي عام 1910 وصل عدد الحجاج الى 15 ألفاً، وكانت غالبيتهم من الفلاحين والنساء المسنات[xxv].من ابرز الاعمال التي قامت بها الجمعية الامبراطورية في القدس ، تنظيم شؤون الحج ، ومنعت الرهبان اليونان داخل الكنيسة الارثوذكسية من استغلال الحجاج

الروس ، ففي حال أراد أحد الحجاج تقديم تبرع الى الأماكن المقدسة فقد كانت تجبره الجمعية بتقديمه لها ، لمنع استغلال الرهبان اليونان ، وكانت هي من تقوم بتحويله الى الجهة المتبرع لها ، كما واشرفت الجمعية على طعام الحجاج ، وشيدت مطاعم خاصة لهذا الغرض ، وأمّنت البنية التحتية الخاصة بالحجاج، كدور المياه وغيرها من المرافق الخدمية . ويضاف إلى ما سبق أن القدس كانت تعاني في ذلك الوقت من نقص في مياه الشرب ، لذا سعت الجمعية إلى حفر الآبار، فزودت المدينة بمياه تساوي ضعف ما كانت تستهلكه المدينة [xxvi].كان للجمعية أيضاً العديد من الأوقاف التابعة لها ، مثلاً في مدينة القدس كان لها كنيسة الثالوث الأقدس، ودار القنصلية، ودار الترجمات، ودار السفارة الروحية، ومستشفى، بالإضافة إلى دارين للحجاج وللحاجات كل على حدة ، وكنيسة مريم المجدلية، وكنيسة أخرى قرب كنيسة القيامة تضم جزءً من سور القدس القديم، بالاضافة الى دير وكنيسة ونزل للحجاج على جبل الزيتون، كذلك امتلكت الجمعية اوقاف خارج مدينة القدس منها بناية في الناصرة للحجاج، ودير في حيفا، ومدرسة في راما للبنين ، ومدرسة في بيت جالا للبنات ، وفيها ايضاً كانت مدرسة داخلية ودار للمعلمات ، ودير في عين كارم ، ونزل ودير في الخليل، ونزل في بيت لحم، ونزل في اريحا [xxvii].بذلت الجمعية ايضاً جهوداً في المجال الطبي من أجل تجنب النقص الذي قد يحصل في الخدمات المقدمة للارثوذكس ، وسعت الى تقديم العناية الطبية لتلاميذ مدارسها والى الآلاف من الحجاج الذين يزورون فلسطين سنوياً، وكان هدفها من ذلك حماية الأرثوذكس الفلسطينيين من العروض التي كانت تقدمها المراكز الطبية اللاتينة اليونانية من أجل اعتناق مذهبها ، كما افتتحت الجمعية مستوصفاً في الناصرة عام 1888، وأخر في بيت جالا وبيت لحم والقدس . وسعت الجمعية الى تأسيس أهم هذه المراكز والذي عرف بأسم (مستشفى القدس الروسي) في مدينة القدس ، الذي كان يقع ضمن مجمع المسكوبية الذي أصبح في ما بعد نواة القدس الغربية، وكانت القدرة الاستيعابية للمستشفى في بادى الامر ثلاثين مريضاً ، الا أن الجمعية عملت على توسعتها فأصبحت ستين سريراً ، فأصبح أكبر مستشفى في مدينة القدس أواخر القرن التاسع عشر[xxviii].

كما سعت الجمعية الى أعادة بناء الكنائس التي كانت موجوة في القدس وترميمها وتجهيزها بالأثاث المناسب من ميزانية الجمعية الخاصة ، وإيصال تبرعات الروس وأغنيائهم، إلى كنائس العرب الارثوذكس ، كما شيدت الجمعية كنائس روسية لذكرى حدث ما أو لتكريم بعض وجهاء الروس، مثل كنيسة القديسة مريم المجدلية في القدس التي بنيت ذكرى لوالدة الإمبراطور ألكسندر الثالث سنة 1888، وأسست الجمعية 114 مدرسة في جميع انحاء بلاد الشام وكانت أولى هذه المدارس الروسية في فلسطين هي مدارس المجيدل 1882، لكن عملها توقف مع بداية الحرب العالمية الأولى عام 1914، [xxix]. كانت الجمعية قد اتخذت من مدينة الناصرة مقراً لها ، أذ تعد هذة المدينة قلب التبشير اللاتيني والبروتستانتي، وسعت الجمعية من اجل تقوية نفوذها في هذة المدينة ، الى انشاء مدرستين ابتدائيتين وداراً للمعلمين وآخر للمعلمات فيها ، ثم بعد ذلك ، انتقل مقر الجمعية الى بيروت نتيجة الاتهامات السياسية التي الصقت بمسؤول السيمنار الروسي في القدس الاكسندر كزما من جانب الرهبان اليونانيين في مدينة الناصرة ، مماجعل والي القدس العثماني يصدر أمراً بالقبض عليه [xxx]. ساهم نقل مقر الجمعية الى بيروت في زيادة نشاط الجمعية في بلاد

الشام، اذ عملت الجمعية على الاشراف على المدارس الموجودة في تلك المناطق ومنها مدرسة الآسية للبنات في دمشق عام 1885 لتطوير مناهجها، وساهمت في تأسيس الكلية الأرثوذكسية في حمص ، بالإضافة الى أنها عملت على تأسيس مدارس في حمص وحماة واللاذقية من اجل تعليم ابناء تلك المناطق ، وأسست مدارس أخرى في بيروت وجبل لبنان وطرابلس وصور وصيدا وجبل الشيخ ووادي العجم، وأسست دار ايتام للبنات في دير سيدة صيدنايا، وكانت اعمال الجمعية في هذا المجال ناجحة وفعالة ، مماجعل القيصر الروسي الاسكندر الثالث الاعترف بها رسميا في عام 1889 كممثلية لروسيا في الشرق الاوسط وتم تغيير اسمها لجمعية فلسطين الارثوذوكسية الامبراطورية في ذلك العام [xxxi]. في عام 1902 تم الاعتراف رسميا بمدارس الجمعية من قبل الحكومة العثمانية التي وصل عددها عند حدوث الحرب العالمية الاولى عام 1914 الى اكثر من 100 مدرسة في جميع انحاء سوريا وفي فلسطين وحدها كان هناك اربعة مدارس في منطقة القدس و18 في الجليل شملت هذه المنطقة مدرستين على مستوى عالي ، واحدة للرجال في منطقة كازاريتاي وهي مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية في منطقة بيت جالا [xxxii] ، ووصل عدد اعضائها في عام 1904 الى 1500 عضواً من بينهم قيصر روسيا نفسه وعدد من افراد الاسرة المالكة والوزراء ورجال الدولة[xxxiii] . نتيجة لتلك الانشطة الناجحة للجمعية ، فقد قرر مؤتمر الجمعية الذي عقد في موسكو عام 1913 تأسيس جامعة روسية كبرى في بيروت ، ألا أن نشوب الحرب العالمية الأولى حال دون تنفيذ المشروع ، بالاضافة الى إغلاق جميع المدارس الروسية في بلاد الشام بقرار من السلطات العثمانية ، إذ اصدرت الحكومة العثمانية قراراً بإغلاق المدارس المسكوبية عام 1914 فضعف نشاط الجمعية ، وتعرضت لضربة قوية اثناء الانتداب البريطاني على فلسطين اصابها بالشلل التام ، إذ ضيقت سلطات الاحتلال البريطاني الخناق على أعمال الجمعية الخيرية والدينية والعلمية، ومنعت وصول مساعدات منروسيا الى فلسطين ، وقامت بمصادرة بعض ممتلكاتها وأجلت العديد من الرعايا الروس من فلسطين ، وأغلقت المدارس ودور المعلمين والمستشفيات بصورة تدريجية [xxxiv] على الرغم من المناشدات التي قدمتها الحكومة الروسية للسلطات البريطانية ، مما ادى الى إنهاء وجود الجمعية رسمياً بعد قيام الثورة البلشفية في روسيا عام 1917 واستيلاء البلاشفة على السلطة ، فتوقف نشاطها التعليمي والتنويري في فلسطين بشكل تام [xxxv].

المبحث الثالث

موقف البطريركية اليونانية من النفوذ الروسي داخل الكنيسة الارثوذكسية

سعت روسيا خلال المدة 1847 -1917 الى أجراء اتصالات مختلفة مع الارثوذكس اليونان ومع الارثوذكس العرب الذين شعروا لاول مره بأهتمام روسيا في شؤونهم ، لاسيما ان روسيا كانت في تلك المدة في حالة منافسة شديدة مع بريطانيا وفرنسا ، وكانت التعليمات التي صدرت الى المبعوث في وقت لاحق تقضي بضرورة حصوله على ثقة العرب وذلك عن طريق قيامه بالحديث دائماً عن الكنيسة ككل وليس عن اهتمامات روسيا ، مما قد يؤدي الى اثارة الشبهات أن هنالك وراء بعثته غايات سياسية ، لقد فوجئ اوسبينكي عندما فتح الافاق الجديدة للارثوكس العرب واكتشف العلاقة السيئة والعميقة التي تسيطر على علاقتهم باليونان عندما قال المطران له في جلسة خاصة :"هؤلاء العرب اوغاد يكرهوننا ويسيئون الى سمعتنا وانت لا تحبنا وتدافع عنهم، فاجابه رئيس البعثة : "الله يعلم مدى محبتي لكم ولكنني اشفق على العرب وأنا مستعد للدفاع عنهم امام اياً كان"[xxxvi].

عندما بدأت المنظمات الدينية والفلسفية الروسية انشطتها في فلسطين في القرن التاسع عشر وجدت الوضع في الكنيسة الارثوذكسية مناسباً لتعزيز مصالحها على الرغم من انها كانت صادقة بأهتمامها بالارثوذكس في الارض المقدسة ، وقد رحب العرب الارثوذكس بالبعثات الروسية ، اذ كانوا ينظرون اليهم على أنهم أرثوذكس من نفس الاعقائد والمذهب ، لذا لم تتردد البعثات الروسية بتقديم الدعم الى الارثوذكس العرب وكسب ودهم مما ساعد ذلك على زيادة نفوذهم في فلسطين ومناطق اخرى من الشرق الادنى من خلال دعم وتعزيز نزعة الانفصال عن الكنيسة الارثوذكسية اليونانية في قبرص وضد البعثات الاخرى في المنطقة[xxxvii].

أن الصدام الكبير الذي جرى بين ألبانيا والسلاف جعل المجتمع الارثوذكسي في فلسطين اكثر صعوبة ، وجعل البطريركية اليونانية في القدس تنظر الى الاوضاع في الكنيسة وتحاول تحسينها لخوفهم من البعثات الروسية ومن اجل تعزيز والحفاظ على مكانتهم الخاصة في الكنيسة وتكوينها الوطني اليوناني [xxxviii].كما أن الجمعية الفلسطينية الامبراطورية أوجدت عداءاً كبيراً من قبل اليونانيين لنشاطها، إذ سعى اليونانيون الى معارضة نشاطها بكل الجوانب، لا سيما في الجانب التعليمي ، الا ان روسيا استمرت قدماً في تحسين جانبها التعليمي في القدس وقد تزايدت المعارضة اليونانية بشكل كبير بعد عام 1895 فاضطرت جمعية فلسطين الارثوذكسية الى تركيز جهودها بشكل اكبر في شمال مدينة القدس في المنطقة الخاضعة الى سلطة بطريركية انطاكيا[xxxix].

وصلت المعارضة اليونانية للنفوذ الروسي الى درجة منع محسنة روسية ارادت انشاء مدرسة روسية في القدس ، ولكن ضغط البطريركية اليونانية جعل المسؤولين الروس يقومون بنقل انشاء هذة المدرسة الى بيت جالا التي اصبحت فيما بعد مدرسة لاعداد معلمات [xl]. بعد ذلك نقل نشاط الجمعية الى منطقة الكرسي الرسولي لتوضيح القضايا التي نظر اليها اليونانيون بريبة ودعمت الجمعية الحركة بين المجتمعات العربية الارثوذكسية للسيطرة على كرسي البطريركية في اثينا الذي احتكرته اليونان على مدى قرن وخمسين عاما ، اذ قامت روسيا بمساعي عديدة تكللت بتولي ملطية دومان عام 1899[xli]. استمرت روسيا بزيادة نفوذها في فلسطين حتى عام 1905 ، إذ بدأ النفوذ

الروسي بالتراجع بسبب الضعف الذي كانت تعاني منه في داخل الدولة وخارجها ، وفي الحرب العالمية الاولى عام 1914 انقطع الروس عن المدينة وضعف وجودهم بشكل كبير[xlii]. فقد أجلت السلطات العثمانية الرعايا الروس من القدس وارسلتهم الى الاسكندرية او مصر او القسطنطينية ، وبقي في القدس النساء المسنات فقط التي لم تسمح له صحتهن بالسفر فسمحت لهن الدولة العثمانيه بالبقاء في القدس ، وكان ذلك في نهاية عام 1914 وتم اجلاء القنصلية الروسية واعضاء الكنيسة الروسية وجمعية فلسطين الارثوذكسية الامبراطورية ، كما غادر رئيس البعثة الكنسية الروسية الشمندريت سيناشوف مع جميع اخوانه القدس وتوجهوا الى الاسكندرية وازداد هذا الضعف مع انطلاق الثورة البلشفية التي انطلقت في عام1917[xliii].

الخاتمة

من خلال البحث في التغلغل الروسي في القدس خلال الفترة (1847 – 1917) توصلنا الى عدة استنتاجات هي :

1- استخدمت روسيا نفوذها في القدس كجزء من سياستها الخارجية لتعزيز موقعها في منطقة الشرق الأوسط ومحاربة النفوذ البريطاني والفرنسي، مما يعكس التنافس الكبير بين القوى الأوروبية على المنطقة. وقد كانت المؤسسات الدينية والمشاريع الخيرية مثل المدارس والمستشفيات التي انشأتها في القدس ، تُستخدم كأدوات قوة ناعمة من أجل البحث عن موطئ قدم سياسي لها داخل أراضي الدولة العثمانية لمنافسة بريطانيا وفرنسا.

2-الاستثمارات الروسية في القدس ، منطقة المسكوبية مثلاً ،غيرت معالم القدس العمرانية. وقد خرجت المدارس الروسية جيل من المثقفين العرب الذين تأثروا بالأدب والفكر الروسي، وهذا أثر على الوعي السياسي والثقافي في فلسطين والمنطقة لسنوات طويلة. ، وساهمت روسيا في التشجيع على النضال ضد الإمبراطورية العثمانية من خلال دعم الحركات القومية والثقافية. كما ساهمت في إذكاء الصراع بين الرعية العربية (السكان المحليين) وبين القيادة اليونانية للبطريركية. اذ دعمت روسيا العرب من اجل كسر النفوذ اليوناني الذي كان يميل للدول الاجنبية ، الامر الذي ساعد على نمو النهضة الأرثوذكسية العربية.

3-ساهمت الأحداث العالمية، مثل الحرب العالمية الأولى، في تغيير موقف روسيا من القدس، حيث كان استمرار الحرب وتداعياتها يؤثر على استراتيجياتها ونفوذها في المنطقة ، أن نهاية النفوذ الروسي عام 1917 أثبت إن قوة الدولة في الخارج مرتبطة باستقرارها بالداخل، فقد ادى قيام الثورة البلشفية بداخل روسيا، الى انهيار نفوذها في القدس وفقدت الكنيسة الروسية هيبتها الدولية.

الهوامش

Charbel Nassif ,Others A Pales nian Life (1885 – 1954) , Brill, Netherlands, 2022, P.17-19 (1)

(2) الكزاندر شولش ، تحولات جذرية في فلسطين 1856- 1882 ، دراسات حول التطور الاقتصادي الاجتماعي والسياسي ، ترجمة: كامل جميل العسلي، الطبعة الثانية ،منشورات الجامعة الاردنية ، الاردن 1993،ص71 .

(3) مادلين خليفة ، الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية ...حمامة سلام روسيا في الارض المقدسة ، مقال منشور في موقع مصدر دبلوماسي ، بتاريخ 2018/12/11 .

(4) الكزاندر شولش ، المصدر السابق ، ص71 .

(5)nada e. marmura , the orthodox communit in the holy land and the gerusalem patriarchatev: a study in the relations between the two , and organization of the community from 1918-1948 ,master's , department of history and archaeology , American university of Beirut , Lebanon , 1967 ,p36 .

(6) رؤوف سعد ابو جابر ،الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ،الطبعه الثانيه ،مركز دراسات الوحده العربيه ،لبنان 2010،ص45

(7) مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع ، الطائفة الارثوذكسية في مدينة القدس الشريف والعلاقة الكنيسة بين رعاياها 1874 - 1917 ، مجلة هيرودوت ، العدد الثامن ، فلسطين ، ايلول 2018 ، ص44 ؛ مادلين خليفة ، المصدر السابق.

(8) gernot seide, hetory of the russian orthodox church outside russia from its beainning to the present, part IV,chapter1.1 (the ecclesiastical mission in Jerusalem and the diaspora in Africa and asia ,an article published rocortudies .

(9) عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح ، تاريخ فلسطين ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر 2001، ص229-230 .

nadae . marmura ,op,cit,p37 .
(10)

(11) the Russians in Jerusalem, an article published perllel histories .

(12) رؤوف سعد ابو جابر ،المصدر السابق ،ص47-48 .

(13)المصدر نفسه ،ص48 .

(14) the Russians in Jerusalem op,cit,

(15) مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع ، المصدر السابق ، ص44 .

(16) أحمد حامد أبراهيم القضاة ، نصار القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ، مركز دراسات الوحده العربيه ، لبنان 2007 ، ص٣٨٦

(17) مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع ، المصدر السابق ، ص45 .

(18)gernot seide,op,cit

19) nadae . marmura ,op,cit,p41

(20) ناظم مجيد حمود ، روسيا القيصرية والارض المقدسة الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية ، مقال منشور في منصة القدس العربي ، بتاريخ 21 اذار 2014.

[21] nadae . marmura ,op,cit,p41

[22] ناظم مجيد حمود ، المصدر السابق ؛ حنا عيسى ، العلاقات الفلسطينية الروسية تاريخية ووطيدة ، مقال منشور في منصة اوراق سياسات عامة ، بتاريخ 5 / ايلول/2012.

[23] مادلين خليفة ، المصدر السابق .

[24] مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع ، المصدر السابق ، ص45 .

[25] مارلين خليفة ، المصدر السابق .

[26] evgenii palamarenko ,the Russian ecclesiastical mission in gerusalem:history and perspectives ,conference paper ,published 7 june 2018 ,p.398.

[27] مادلين خليفة ، المصدر السابق .

[28] المصدر نفسه.

[29] المصدر نفسه.

[30] المصدر نفسه .

[31] nadae . marmura ,op,cit,p42

[32] Ibid,p42-43

[33] مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع ، المصدر السابق ، ص45 .

[34] ناظم مجيد حمود ، المصدر السابق .

[35] مادلين خليفة ، المصدر السابق .

[36] رؤوف سعد ابو جابر ،المصدر السابق ،ص45 .

[37] nadae . marmura ,op,cit,p38.

(

[38] Ibid ,op,cit,p48.

[39] Ibid,op,cit,p42.

[40] أحمد حامد أبراهيم القضاة ، المصدر السابق ، ص249 .

[41] nadae . marmura ,op,cit,p43.

[42] عارف العارف ، المسيحية في القدس ، مطبعة دير الروم الارثوذكس ، القدس 1951 ، ص209 .

[43] priest roman gul'tyev ,one hundred years of the ecclesiastical mission in church abroad ,interviewed by deacon Jerusalem under the Russian alexander zanemonets 15,December,2020.

المصادر

الكتب

- أحمد حامد أبراهيم القضاه ، نصار القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانيه ، مركز دراسات الوحده العربيه ، لبنان 2007
- الكزاندر شولش ، تحولات جذرية في فلسطين 1856- 1882 ، دراسات حول التطور الاقتصادي الاجتماعي والسياسي ، ترجمة: كامل جميل العسلي، الطبعة الثانية ،منشورات الجامعة الاردنية ، الاردن 1993.
- رؤوف سعد ابو جابر ،الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ،الطبعه الثانيه ،مركز دراسات الوحده العربيه ، لبنان 2010
- عارف العارف ، المسيحية في القدس ، مطبعة دير الروم الارثوذكس ، القدس 1951.
- عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح ، تاريخ فلسطين ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر 2001.

البحوث والمقالات

- مادلين خليفة ، الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية ...حمامة سلام روسيا في الارض المقدسة ، مقال منشور في موقع مصدر دبلوماسي ، بتاريخ 2018/12/11 .
- مروان محمد حمدان ويوسف الاقرع ، الطائفة الارثوذكسية في مدينة القدس الشريف والعلاقة الكنيسة بين رعاياها 1874 - 1917 ، مجلة هيرودوت ، العدد الثامن ، فلسطين ، ايلول 2018
- ناظم مجيد حمود ، روسيا القيصرية والارض المقدسة الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية ، مقال منشور في منصة القدس العربي ، بتاريخ 21 اذار 2014.
- حنا عيسى ، العلاقات الفلسطينية الروسية تاريخية ووطيدة ، مقال منشور في منصة اوراق سياسات عامة ، بتاريخ 5 / ايلول/2012.

الاجنبية

- Charbel Nassif ,Others A Pales nian Life (1885 – 1954) , Brill, Netherlands, 2022 .
- evgenii palamarenko ,the Russian ecclesiastical mission in gerusalem:history and perspectives ,conference paper ,published 7 june 2018.
- gernot seide, hetory of the russian orthodox church outside russia from its beainning to the present, part IV,chapter1.1 (the ecclesiastical mission in Jerusalem and the diaspora in Africa and asia) ,an article published rocortudies

• priest roman gul'tyev ,one hundred years of the ecclesiastical mission in Jerusalem under the Russian church abroad ,interviewed by deacon alexander zanemonets 15,December,2020.
• the Russians in Jerusalem, an article published perllel histories

Russian influence within the Orthodox Church in Jerusalem (1847-1917)

Nyizk Saeed Abdul Karim
Al-Rusafa First Directorate / Al-Adhamiya Evening Girls' School
nyzksyd@gmail.com
07707748820

Abstract
The period from 1847 to 1917 witnessed a significant rise in Russian influence within the Orthodox Church in Jerusalem. The issue transformed from mere religious patronage into a political and strategic tool within what became known as the "Eastern Question." The first Russian ecclesiastical mission to Jerusalem was dispatched in 1847, headed by Archimandrite Porphyry Uspensky. While the mission's stated aim was to support Orthodoxy, its implicit goal was to break the cultural and religious monopoly held by both France (Catholics) and Britain (Protestants) in the Holy Land. Russian influence faced an internal obstacle in the form of the Orthodox Patriarchate of Jerusalem, which was under the control of Greek leaders. This led the Patriarchate to support Arab demands within the Orthodox Church against Greek dominance. This is where the importance of this research lies, through the role played by Russian influence in the conflict between the Orthodox Arabs and the Greek Patriarchate. Russia used financial support to pressure the Patriarchate into appointing leaders aligned with its policies. Jerusalem became an annual destination for thousands of Russian pilgrims, peasants, and nobles, transforming parts of the city into predominantly Russian quarters. Through this influence, Russia aspired to solidify its position as protector of Orthodox Christians within the Ottoman Empire and establish a permanent foothold near strategic routes in the Middle East. It also aimed to counter the growing Western (Protestant and Catholic) influence in Palestine
This powerful influence with the outbreak of the Bolshevik Revolution in 1917. Russian funding ceased, much property was confiscated, and the Church's role diminished in favor of the new colonial power Britain, which entered Jerusalem that same year.
Keywords: Russian support – Orthodox Arabs – Greek hostility**.**